Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.18, Issue: 2011

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور–باكستان.
العدد الثامن عشر، 2011م.

دراسة فنية لشعر عنترة بن شداد

حافظ محمد بادشاه

محاضر في قسم العربي

الجامعة الوطنية للغات الحديثة,إسلام آباد

Abstract

Arabic poetry in pre-Islamic era has prominent role in the literary, linguistic, intellectual and political life of Arab society, that's why the poetry of pre-Islamic era is a great way for us to have comprehensive knowledge about Arabs history.

It was always a thing of great joy and happiness for Arab society if they were having any child with the creative ability of poetry because he would praise his tribe and criticize his enemies. Among these God gifted children's Antara Bin Shaddad was also known for his courage and poetry that he became one of the great seven poets. We see in his literary works various kinds of technical characteristics, that's why his poems are full of eloquence and rhetoric.

So I decided to do "Prosodic Accomplishment of Antara Bin Shaddad." in this research article.

I divided my research to the following parts;

- Antara bin Shaddad's biography
- The poetic aims of Antara Bin Shaddad's poetry
- Technical beauty of his poetry
- Pictorial beauty of his poetry
- Linguists attributes of his poetry

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

الشعر عند العرب هو الأثر العظيم الذي حفظ لنا حياة العرب في جاهليتهم، وإذا كانت الأمم الأخرى تخلد مآثرها بالبنيان والحصون فإن العرب يعولون على الشعر في حفظ تلك المآثر ونقلها إلى الأجيال القادمة. يقول ابن سلام: "وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم منتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون. فالشعر عند العرب له منزلة عظيمة تفوق منزلة تلك الأبنية. ومع اهتمام العرب العظيم

محاولاتهم الأولى، وإنما وجدنا شعراً مكتمل النمو مستقيم الوزن تام الأركان" .

وهناك عدد من الشعراء الذين ساهموا في حفظ التراث العربي منذ الجاهلية وكان عنترة بن شداد العبسي من هؤلاء الشعراء البارزين .

فجعلت موضوع بحثي "دراسة فنية لشعر عنترة بن شداد" كي نستفيد من أشعاره القيمة والجميلة .

وقسمت بحثي إلى مباحث تالية

ترجمة موجزة لعنترة بن شداد

الأغراض الشعرية السائدة لعنترة بن شداد

الخصائص الفنية في شعر عنترة

الخصائص التصويرية في شعر عنترة

الخصائص اللغوية في شعر عنترة .

المبحث الأول : ترجمة موجزة لعنترة بن شداد

اسمه ونسبه : تكاد تتفق كلمة العلماء القدامى الذين تصدوا لترجمة عنترة حيث جعلوا اسمه (عنترة) بإثبات التاء المربوطة ولكننا نجد بعضهم قد خالفوا وجعلوا اسمه (عنتر) بدون التاء. كسيبويه، فقد نقل عنه هذا القول ابن منظور الأفريقي.[1]

يدعون عنتر والرماح كأنها   أشطان بئرٍ في لبان الأده[2]

قال محقق ديوان عنترة محمد سعيد مولوي : " إن لنا قرينة أخرى تؤيد كون اسم عنترة بإثبات التاء وهي ورود اسم أكثر من شاعر على لفظ عنترة كعنترة بن الأخرى الطائي، وعنترة بن عروس"[3]

نسبه : قال ابن قتيبة: " هو عنترة بن عمرو بن شدّاد بن عمرو بن قراد بن مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض". [4]

لقبه: قال أبو الفرج الأصفهاني: " له لقب يقال له (عنترة الفلحاء) وذلك لتشقق شفتيه ".[5]

مولده : إن أول الأخبار التي تخبرنا عن مولده هو ما أورده ابن الأثير عن أسباب حرب داحس والغبراء ، والمعركة لما اشتعلت نارها ... يقول : " فحينما قتل مالك بن زهير، انضم قيس بن زهير إلى الربيع بن زياد، وأنشدهم عنترة بن شداد مرثيته في مالك:

فلله عيناً من رأى مثل مالكٍ   عقيرة قومٍ أن جرى فرسان

فليتهما لم يطعما الدهر بعدها وليتهما لم يجمعا لرهان(6)

ظاهرة النص يدل على وجود عنترة منذ أول أيام داحس والغبراء.

يقول محقق ديوان عنترة محمد سعيد مولوي: " ونحن نرجح أن يكون عنترة قد شهد بدء حروب داحس وسنُّه قريبةٌ من الثلاثين ، لأنه كان من أبطالها منذ البدء ، والبطولة تقتضي الشهرة ، والشهرة لا تتأتى لعبد مغمور إلا مع الصبر والأناة والزمن الطويل." (7)

وإذا كان من السائد لدى المؤرخين أن حرب داحس قد انتهت قبل الإسلام بقليل أي قرابة سنة 600 للميلاد، وكانت هذه الحروب قد استغرقت أربعين سنة، فإننا نستطيع أن نسقط من سنة 600 أربعين سنة فترة هذه الحروب التي عاصرها عنترة ثم نسقط بعد ذلك ثلاثين سنة وهي المدة التي تصورناه قد سلخها من عمره قبل أن يشترك في هذه الحروب ، فنخرج بنتيجة تجعل ولادة عنترة سنة 530 م تقريباً.

أسرته : يقول الدكتور شوقي ضيف: " وكان أبوه من أشراف عبس ، أما أمُه فكانت حبشية ، يقال لها زبيبة، وقد ورث عنها سواده، ولذلك كان يُعدُّ من أغربة العرب، كما ورث عنها تشقق شفتيه، ولذلك كان يقال له عنترة الفلحاء، وكان من عادة ا لعرب في الجاهلية إذا استولدوا الإماء أن يسترقوا أبناءهم ولا يلحقوهم بأنسباهم إلا إذا أظهروا نجابةً وشجاعةً ومن ثَمَّ لم يعترف شداد بعنترة ابناً له إلا بعد ما أبداه من بسالة في حروب داحس والغبراء ، وقد ظلّ يذكر هذا الجرح الذي أصابه في الصميم ، وفي ذلك يقول :

إني امرؤ من خير عبس منصباً شطري وأحمى سائري بالمنصل

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيراً من معمّ محوّل

وواضح أنه يشير إلى كرم أصله الأبوي أو شطره الأول ، أما شطره الثاني من جهة أمه فتنوب عنه شجاعته واقتحامه للحروب حتى غدا في قومه خيراً ممن عمّه وخاله من سادتهم إذ لا يُغني القبيلة أحدٌ غناءه ولا يذود عن حماها ذيادَه.(8)

زواجه : إن الذين ترجموا لعنترة من العلماء القدامى كابن الكلبي ، والأصمعي ، وابن قتيبة ، لم يتصدوا لذكر زواجه، وأما العلماء المحدثون فأكثرهم يرون أن عمّه منعه من زواج ابنته، إلا ما جاء في تاريخ الأدب العربي ألفه عدد من الأساتذة ، يقول نصه : " وقد عشق في شبابه ابنةَ عمه عبلَةَ ، وكان ذلك قبل أن يحرره أبوه ويدعيه ، فأبى عمه

(9)

يقول محقق ديوان عنترة : " إذن يبقى عدم زواج عنترة من عبلة ، وهو أمر معقول، فعنترة الذي ظلّ فترة من حياته عبداً، ما كان له أن يتزوج من الفتاة الحرة لأنه دونها مرتبة، وهو لم ينل حريته إلا بعد حين ، مما يترك الفرصة سانحة لعبلة أن تتزوج قبل نواله حريته، لأننا نتصور حبّ عنترة لعبلة حباً قديماً، وذلك لتكرار ذكره لها في أشعاره، وما دام هذا الحب قديماً ، فإنه لا ريب سيكون هناك فارق في السنّ غير عظيم ، فتأخر عنترةُ في حريته يترك المجال واسعاً للآخرين لطلب يد عبلة والزواج منها"[10]

أخلاقه الكريمة : عنترة بن شداد صاحب خلق حسنة ، رقيق القلب ، كريم النفس وذكر المؤرخون أقوالا عديدة في أخلاقه كما يقول الدكتور جواد علي : " وذكر أنه كان من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده " .[11]

وقال الدكتور طه حسين : " عنترة فيما يظهر قد كان حلو النفس، رقيق القلب، قوي العاطفة ، جاءه ذلك من أنه عزّ بعد ذلةٍ ، وتحرر بعد رقَ فهو قد تألم في طفولته وصباه ، واحتمل الأذى في شبابه وأي أذى، هذا الذل يداخل التنفس ويختلط بها اختلاطاً، فيصفي عواطفها تصفية، ويلطف مزاجها تلطيفاً"[12]
ويقول الدكتور شوقي ضيف: "إن عنترة دوّخ الأقران والأبطال في حروب داحس والغبراء ، وبذلك غسل مذمة ولادته ولونه وفلح شفتيه، والذي لا شك فيه أنه كان على خلقٍ عظيم وأنه كان يجمع إلى فروسيته المادية ، فروسية معنوية أو خلقية ."[13]

وفاته : اختلف الروايات في وفاته وسببه فيقول محمد بن حبيب:" وكان (أي عنترة) أغار على بني نبهان فأطرد طريدةً وهو شيخ كبير ، فجعل يطردها ويقول :

حظ بني نبها منها الأثلب كأنما آثارها لا تحجبْ

آثار ظلمان بقاع مجدب

وقال ابن دريد : قتلته طيئ فيما تزعم العرب وعامة العلماء ، وكان أبو عبيدة ينكر ذلك ، فيقول: " مات برداً وكان قد أسنَّ "[14]

المبحث الثاني : الأغراض الشعرية السائدة لعنترة بن شداد

كما عرفنا أن عنترة بن شداد من الشعراء البارزين في عصره ، فهنا أتوجه إلى أغراضه الشعرية السائدة ، لأن عنترة تناول موضوعات عديدة في شعره، و أساس هذه الموضوعات، "الفروسية"، وكان بطلاً جليلاً وفارساً شهيراً، بل لصقت الفروسية باسمه، فإذا ذكر الفروسية يأتي اسمه مع ذكرها ، حتى صار مثلاً للفروسية المثلى.

يقول الدكتور شوقي ضيف:" وردِّد البصر في أشعار عنترة فستجده يأسر لبَّك بمثله الخلقية الرفيعة ، فهو مع فروسيته ، وبذله لنفسه في سبيل قومه سمح السجايا، سهل المخالطة والعاشرة لا يبغى على غيره ولا يتحمل البغي ولا يظلم ولكنه لا يستكين للظلم فإن ظلم تحوّل كالإعصار العاصف حتى يأتي على ظالمه، وقد يشرب الخمر ولكنها لا تفسد مروءته ، وإذا دعاه داعي المكرمات لبَّى باذلاً كلّ ما يملك عن طيب نفسٍ، يقول:

أثني عليَّ بما علمتِ فإنني ... سمحٌ مخالقتي إذا لم أظلم

فإذا ظُلمت فإنّ ظلمي باسلٌ ... مرٌّ مذاقته كطعم العلقم

وإذا شربت فإنني مستهلك ... مالي وعرضي وافرٌ لم يكلم[15]

الغزل والنسيب: يقول محمد سعيد مولوي: " والحديث من الغزل في شعر عنترة أمر طبيعي مادام شاعرنا رجلاً يحس بميله للأنثى، وما دام يحيا في العصر الجاهلي الذي يكثر الحديث من المرأة ، وما دام يحب ابنة عمه عبلة .

والملاحظة أن غزل عنترة متعدد الصفات والجوانب وهي تهدف كلها إلى إبراز شخصية أيام المحبوبة ، وإظهار تعلقه بهذه المحبوبة عليها تبادلة حباً بحبٍ وعاطفة بعاطفة.
وأحد هذه الجوانب أنه غزل عذري يعني بالمرأة في خلقها وصفاتها ويهدف إلى التغني بجمال نفسها أكثر من التغني بجمال خلقها ، وناحية الغزل العذري أمر طبيعي ينسجم مع المعنى الخلقي الذي يهدف إليه عنترة في شعره ، فمن غير المعقول فيمن يحاول أن يرسم لنفسه صورة الكمال الخلقي أن يحيد عن الارتباط بالغزل العذري.

وأريد أن أورد هنا نص الأستاذ بطرس بستاني ليدل على أن حبه ونسيبه كان وثيقا الصلة بالفروسية ، يقول : " لم يكن عنترة ناعماً في حبه فتظهر آثار هذه النعمة على شعره ، بل كان شقياً يطمع في عبلة ، فيصده والدها ويحاول استرضاءه فلا يجد إلى ذلك سبيلاً، فكان إذا تغزل تألم وشكا، وليس في غزله غير شكوى وآلام".
يقول عنتره معربا عن حبه لعبله بنت مالك العبسي:

رمت الفؤاد مليحة عذراء ... أبسهام لحظ مالهن دواء

مرت أوان العيد بين نواهد   مثل الشموس لحاظهن ظباء

فاغتالني سقمي الذي في باطني   أخفيته فاذاعه الإخفاء

خطرت فقلت قضيب بان حركت   أعطافه بعد الجنوب صباء

الوصف في شعره : عندما نمعن النظر في شعر عنترة فنجد بأنه يمتلك قدرة كاملة على وصف الأشياء فمعظم الوصف في شعره على ثلاثة أقسام:

1. **وصف الأطلال والديار**: نجد عنترة في معلقة يسأل الدار، ولكنها لا تجيب إلا كما يجيب والأخرى الأعجمي. فيبتغى في ربوعها وبين آثارها يطلب منها أن تتكلم وتحديه عن أخبار محبوبته. يبقى واقفاً يذكر ارتحالها وانتقالها، ثم يجتبي الديار ويذكر أن محبوبته قد شطت ديارها، وابتعدت عن منازل، فليس له إلا أن يذكر رحيلها وما بركنه في نفسه من أثر ولوعة ونستطيع أن تلحظ في وصف الديار والأطلال في المعلقة ميلة إلى التطويل والتكرار شأن الشعراء الجاهلين الآخرين. فهو لا يكاد يذكر الرحيلي حتى يعود لذكر الأطلال وخطاب المحبوبة تم يعود إلى ذكر الرحيل مرة أخرى:

هل غادر الشعراء من متردم   أم هل عرفت الدار بعد توهم

أعياك رسم الدار لم يتكلم   حتى تكلم كالأصم الأعجم

ولقد جست بها طويلاً ناقتي   أشكو إلى سُفْعٍ رواكد جثم

يا دار عبلة بالجواء تكلَّمي   وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي(16)

2. **وصف الناقة**: تحدث عنترة عن ناقته فهو رجل شجاع وفارس نبيل وعاشق أصيل فيقول:

هَلْ تُبْلِغَنِّي دَارَهَا شَدَنِيَّةٌ   لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّمِ

خَطَّارَةٌ غِبَّ السُّرَى مَوَّارَةٌ   تَطِسُ الإِكَامَ بِذَاتِ خُفٍّ مِيْثَمِ

وَكَأَنَّمَا أَقِصَ الإِكَامَ عَشِيَّةً   بِقَرِيبِ بَيْنَ المَنْسِمَيْنِ مُصَلَّمِ(17)

هكذا نره يبدأ بوصف الناقة ثم ينقل من وصفها إلى وصف الظليم ولكنه لا يستغرق في وصفه إلى حدٍ حيث ينسى ناقته بل سرعان ما يعود إلى ذكر الناقة ثم ينتقل إلى غرضه الأصيل .

3. **وصف الفرس:** أما فرس عنترة فقد أعده للحرب والغارة، فهو فرس أصيل صبور جرى، تحدث منه في معلقته عند الحديث عن فروسيته.

وقد أوضح عنترة حال الميدان و عاطفته وقوته وشدته، وقد أظهر صورته وأحواله من حلال الحرب ووصف القتال[18] يقول:

هَلاَ سأَلْتِ الخَيْلَ يا ابْنَةَ مَالِكٍ إنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِما لَمْ تَعْلَمِي

إذْ لا أَزَالُ على رِحَالَةِ سَابحٍ نَهْدٍ تَعاوَرُهُ الْكمُاةُ مُكَلَّمِ

طَوْراً يُجَرِّدُ للطِّعانِ وَتَارَةً يأوِي إلى حَصْدِ الْقِسيّ عَرَمرَمِ[19]

حماسة وشجاعة عنترة: يقول الدكتور بدوى طبانة: " وأنك لواجد في شعره آثار تلك العظمة النفسية التي وهبها ذلك الفارس العربي، الذي أصبح اسمه علما على الشجاعة والنجدة وعنواناً على الحب الصادق ، والبذل والسخاء، وجرى ذكره في العصور يتغنى به العاشقون والكرائم والشجعان . "[20]

يقول الدكتور شوقي ضيف: " ويصور لنا في القصيدة اللامية شجاعته وجرأته تصويراً ظاهراً إذ يقول :[21]

بكرت تخوفنى الحتوف كأنني أصبحتُ عن عرض الحتوفِ بمعزل

فأجبتها أن النية منهل لا بد أشقى بكأس المنهل

فاقني حياءك لا أبالك واعلمي أني امروء سأموت إن لم أقتل

ثم قال تعليقاً على هذه الأبيات: " فهو لا يستمع إلى تخويف صاحبته له مما قد يلقاه من المكاه والمكالف بسبب تهافته على الحروب، بل إنه ليصم أو فيه عن ندائها قائلاً لها إن المنية مورد كل إنسان ولا بد أن أموت فليكن موتى شريفاً في ميدان الحروب ويدعوها أن تصون حياءها، فهو ميت على كل حال، وخير له أن يموت مناضلاً عن قومه ، مدافعاً عن نسائهم وأطفالهم وضعفائهم.[22]

المبحث الثالث: الخصائص الفنية في شعر عنترة

عندما نقوم بدراسة فنية لشعر عنترة فنجد أن شعر عنترة مليئة بفنون مختلفة وفي شعر شيء من البداوة كما يقول كارل بروكلمان:

" وفن عنترة الشعري الذي نعرفه من معلقة بصورة أساسية هو في حقيقته فن بدوى نموذجي. ولكنه يتسم مع ذلك ببعض حديثة حيث يرسم موقعاً غرامياً على نحو قريب من أسلوب عمر بن أبي ربيعة. "(23)

ويقول جرجي زيدان: وله قصيدة فخمة يتوعد بها النعمان ويفتخر بقومه كلها حكم وحماسة مطلعها:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

وفى هذا البيت من الحكمة البالغة ما ليس بعده غاية"(24)

ويقول طه حسين : " وكثير مبدأ أبيات هذه القصيدة قد ظفر بحظ عظيم من الإيجاز والامتلاء والبراءة بين اللغو والفضول حتى يجرى الأمثال فأي الناس لا يتمثل قوله:

وإذا شربت فإنني مستهلك ما لي وعرضي وافر لم يكلّمي

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

عندما نمعن النظر في الفن الشعري لعنترة فيمكن لنا تقسيمه إلى أقسام عديدة كما يلي :

ذاتية عنترة : في شعر عنترة ظاهرتان بارزتان:

أولاهما: ظاهرة الاعتزاز بالنفس والتغني بالبطولة لذاتية عنترة وتصوير المظاهر الفردية.
وثانيتهما: الاعتزاز بالقبيلة وتصوير مظاهرها وبيان عظمتها وعظمة فرسانها، يقول في معلقته:

ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعنٍ هرباً ولا مستسلم

جادت له كفي بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوم(25)

ومثل هذه الأبيات كثيرة في شعره.

وأما الظاهرة الثانية: وهي الاعتزاز بالقبيلة فلا نجدها في جميع قصائده وإنما هي في بعضها. وتكون عادةً في معرض تعاون القبيلة فيما بينها لدفع ظلم، أو في معرض الهجوم والقتال، يقول في يائيته:

ونحن منعنا بالفروق نساءنا نطرف عنها مشعلاتٍ غواشيا

حلفنا لهم والخيل تردى بنا معاً نزايلُهُمْ حتى يَهُّروا العواليا

واقعية عنترة: يتمم شعر عنترة بالواقعية. "فإذا أراد أن يتحدث أخذ موضوع شعره من واقع أحداثه وصور فيه واقع حياته واستعان بواقع ما يجرى في الحياة فيخرج لنا وصفاً واقعياً يتسم بصدق النقل عن الحياة وتناول الجزئيات والحرص على التفصيل والرقة في التعبير والاهتمام بالألوان"[26] .

ويمكن أن نذكر مظاهر عديدة للواقعية في شعره وهي:

واقعية الموضوع: واقعية الموضوع أول ما يصادفنا من أجزاء الواقعية عند عنترة إن ظروف نشأته الأولى جعلته ينهج هذا المنهج ولهذا كان يسعى جاهداً في سبيل نيل حريته وإعجاب الآخرين به ولذلك كان يحب أن يرسم لهم صورة صادقةً عن إحساساته الداخلية لكي يشعروا بها وصورة صادقة لبطولاته الشخصية كي يعرفوا فضله.

كما يقول عنترة :

حسناتي عند الزمان ذنوب وفعالي مذمة وعيوب

ونصيبي من الحبيب بعاد ولغيري الدنو منه نصيب

كل يوم يبري السقام محب من حبيب وما لسقمي طبيب

حيث يصف عنترة بن شداد في هذه القصيدة حاله ويشكو زمانه.

ظاهرة الأحاسيس الداخلية: وظاهرة ثانية من مظاهر الواقعية ، هي وصف الأحاسيس الداخلية والآلام النفسية. قد استطاع ذلك في حديث عن أخلاقه ومفاخره فهو يحس بأنه بحاجةٍ إلى أن تحبه وهو يعلم أنه غير جميل . وان شكله لا يغر أنثى ولا ينال أمجادها، لذلك أعرض عن ذلك وتحدث عن ميزة أخرى تبعث على الإعجاب ولا تتوفر لعل الناس وهى الشجاعة والخلق الكريم فعرض عليها خصاله وبالغ في الواقعية في عرضه. يقول:

أثنى على بما علمت فإنني سمح مخالفتي إذا لم أظلم

فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم[27]

رسم صورة صادقة لبطولاته: وما اكتفى عنترة برسم صادقة عن إحساساته وإنما رسم لنا صورة صادقة عن بطولاته أيضا، استقاها من واقع الحياة التي عاشها، ومن صحة هذه البطولات فحدثنا عن معاركه وخصومه ومواقفه وأعدائه، وقتل فيها الأبطال وصرع فيها الفرسان ، وهزم فيها الكتائب، يقول في لاميته:

والخيل تعلم والفوارس أنني فرقت جمعهم بطعنه فيصل(28)

صدق النقل عن الحياة: ينقل لنا عنترة الحياة كما تجرى دون أن يتدخل فيها ودون أن يجعل من نفسه عاملاً في الزيادة أو مؤثراً أو مغيراً . يقول:

وكان ربا أو كحيلا معقداً حش القيان به جوانب قمقم

ينتقل لنا بصدقٍ أعمال القيان في إيقاد النار تحت قمقم العطران يرون تلشيفه.

تناول جزئيات الأمور: ومن مظاهر الواقعية عند عنترة العناية بتناول جزئيات الأمور وتعيين مظاهر الهيئة وأقسام الزمان والمكان والفعل والحالة. وهذه الأمور أوق الأشياء دلاله وأكدها للواقعية، يقو ل:

كأن السرايا بين قوٍ وتارة عصائب طير ينتحين لمشرب

كتائب تزجى فوق كل كتيبة لواء كطل الطائر المتقلب(29)

قد حصر وجود هذه السرايا بين قوٍ وتارة وهما موضعان ، ثم عين هيئة هذه السرايا فجعلها متتابعة متلاحقةً كما تسير الطيور في طريقها لمناصل المياه وحدد أصوات الرماح وهي تقع فيهم فجعلها كأصواتها عند ما توضع في الثقاف تقوم ، وحدد هيئة الكتائب مقرونةً بالألوية فجعل الألوية تهتز فتترك ظلالها على الأرض كظلال أجنحة الطير.(30)

العناية بالألوان: إن عنترة يهتم باستخدام الألوان على بعض صوره . وهذه الألوان تكسب بجانب الجمال في الوصف، دقة في التعبير، وتصويراً للواقع الحي. يقول:

حتى رأيت الخيل بعد سوادها حمر الجلود خضبن من جرحاها

والأمثلة لعناية عنترة بالألوان واستخدامها في سبيل إعطاء الشعر صفة الواقعية كثيرة.

العناية بالتحديد العددي: ومن مظاهر الدقة في التعبير التي تؤكد الواقعية وتؤتيها عنايته بالتحديد العددي ، أي: ذكر الأعداد والأرقام.

ومفهوم هذا أنه لم يعن في شعره بالأرقام الحسابية والتحديدات العددية ، وسبب ذلك أن الأرقام لغة لا تنسجم مع الشعر انسجاماً كبيراً ومع هذا فإننا نجد في أكثر من موضع أنه ذكر الأرقام أو اعتمد على التحديد العددي، يقول في معلقته:

فيها اثنان وأربعون حلوبةً سوداً كخافية الغراب الأسهم

وفى غير المعلقة يخاطب عمارة بن زياد ويقول:

وللرعيان في لقح ثمان تهاد نهن صراً أو غراراً

يتضح مما سبق أن شعر عنترة يتسم بالواقعية ، فهو يستقى من الواقع وجوه ، مادته، ويأخذ منه صورة ، ويرتبها بكل متوسمات الواقعية من تناول للجزئيات ، أو تعيين للمكان أو الزمان أو الحالة، أو الفعل ، أو اهتمام بالألوان أو حرض على التفاصيل أو دقة في التعبير. [(31)]

المبحث الرابع : الخصائص التصويرية في شعر عنترة

معظم شعراء الجاهليين يستخدمون الفن التصويري في إلقاء شعره، معنى ذلك أن الشاعر الجاهلي يستمد مادة التصويرية من الحوادث والواقعات ، فشاعرنا عنترة أيضا من الشعراء الذي استخدم فن التصوير في شعره . وهنا نذكر الخصائص التصويرية في شعر عنترة .

الحركة في الصور الشعرية:

ومن يعالج نصوص الشعر الجاهلي في أعراضه المختلفة يلاحظ عناية شعرائه بتوفير لون بعينه من الحركة الدائبة لصورهم على اختلاف مها سباتهما، وهى حركة تخني وتدق أحياناً حتى لا تكاد تلحظ. وتدل نماذج هذا الشعر في صورة المخانة على أن الشعراء كانوا يحتقون هذه الحركة بطر يقين مختلفتين:

الطريق الأول : بث الحركة في الصورة

الطريق الثاني: العناية بعناصر الصورة

بث الحركة في الصورة عند عنترة: يقول الدكتور إبراهيم عبدالرحمن محمد: " وقد كثر هذا النوع من بث الحركة في الصور الثابتة في شعر الغزل الذي يحتفل فيه الشعراء رغم هذه الصورة التالية لجمال المرأة. وقد راحوا في تشبيهات متنوعة وكثيرة يحققون لصورهم الحركة من خلال ألفاظ لغوية يتخيرونها تخيراً خاصاً ."[(32)] وخير نموذج على ذلك أبيات عنت رة :

وكأن فارة تاجر بقسيمة سبقت طوارفها إليك من الغم

أو روضة أنفا تضمن نبتها غيث قليل إلا من ليس بمعلم

فهذه المرأة حين تهوى إليك نشرت من فيها رائحة طيبة كالمسك تسبق عوارضها إلى أنفك.

العناية بعناصر الصورة: هذه ميزة نجدها شائعة في شعر عنترة . ويتسم التصوير عنده بأنه مأخوذ في أصله من ملاحظته المباشرة لمجريات الحياة. والتصوير عند عنترة صفة أساسية يبثها في أعماله الأدبية كلها. سواءً أهدف من هذه الأعمال إلى التحدث من مجريات الحياة أم هدف إلى إبراز القدرة على العمل الفني.

يقول محقق ديوان عنترة:"وقد اتخذ عنترة للتصوير مدته وأسبابه فهو يهم بالألوان اهتماماً جيداً، ويضعها في أشعاره وبشكل مناسب مقبول يدفع إلى الإعجاب ففي بيته:

تمسى وتصيح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدهم فلجم

يصور لنا حالته مقارنةً بحالة حبيبة ، فهي وليدة الراحة والرفاهية، تمضى يومها كله مطمئنة مستريحة، أما هو فيمضي ليله على فرسه الأسود المهيأ للقتال لا يعرف النوم ولا يذوق طعم الراحة. وتلحظ هنا أن عنترة قد استخدم لو ن السواد لفرسه وهو لون يناسب الليل المظلم.

العناية بالتشبيه: يقول محمد سعيد مولوي: " اهتم عنترة باستخدام التشبيهات والاستعارات ، ونجد أنه استخدم التشبيهات أكثر من الاستعارة.

والمعلقة ميدان فسيح لعبقرية عنترة في هذا الباب ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى".(33) يقول:

وَكَأَنَّمَا نَظَرَتْ بِعَيْنَيْ شَادِنٍ رَشَأٍ مِنَ الْغِزْلانِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

وَكَأَنَّ فَأْرَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيْمَةٍ سَبَقَتْ عوَارِضَهَا إِلَيْكَ مِنَ الْفَمِ(34)

والتشبيه عند عنترة لا يدور حول نوع واحد، فتارة يكون تمثيلا، وأخرى يكون مفصلاً، وثالثة مؤكداً ، وهو بذلك يعطي كل حالة ما يلائمها ويناسبها .

الاستعارة : قد عنى العلماء بمعلقته أكثر من سائر شعره ويبده أن عنترة قد أفرغ جهده في إبراز قدرته على التعبير الفني في المعلقة. فإذن هذه القصيدة مثال عال لعبقرية عنترة في هذا الباب. يقول محمد سعيد مولوي:" ولا تنفرد المعلقة بكونها الميدان

.(35)

:

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا المحَاوَرَةُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمْ الكَلامَ مُكَلِّمِي

وَالخَيْلُ تَقْتَحِمُ الخَبَارَ عَوَابِساً مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ[36]

ومثل ذلك قوله:

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل الدم

حيث استعار السربال لوشاح الدم الذي يتشح به الفرس..."[37]

الكناية: إن عنترة لم يقتصر على التشابيه والاستعارات ، بل عني بالكنايات العديدة عناية كبيرة. يقول إيليا الحاوى: " وتدخل القصيدة بعض الكنايات حيث يفصح الشاعر عما يعبر عنه من خلال المشاهد وما تستنبطه من دلالات ليسبقه بها في ذاتها وتقع على ذلك في مثل قوله:

"يأوى إلى حصد القسي عرمرم"

للتدليل على قيام الفرس إقامة دائمة في الحروب ، يتمرس بها نهاراً أو في الضحى وإذ يأوى ليلاً يقيم بين السلاح الذي يحدق به من كل جانب فهذا الفرس وإن انقطع عن القتال، وبين أن الفرس يعبر هنا عن الفارس.

" يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالمِعْصَمِ "

للتدليل على النعمة التي يحيا بكنفها وقد أتخذ لذلك إذ لا يزال شكله يتم عن معيشة صاحبه، فإذا كان رخصاً ليناً كان صاحبه منعماً وإذا كان جافاً غليظاً دل على القسوة وشظف العيش.

العناية بصورة خيالية: إن عنترة في تصويره يعتمد في كثير من الأخيلة. والخيال صفة لا يقوم الشعر الجميل إلا بها ، وهو مخرج النفس من حدة الواقع، ومسرح الشعور في عالم التصور.

والملاحظ على خيال عنترة أنه يرتبط في مادته بالواقع، فإذا تخيل أمراً ما فلا يتخيله مبالغاً فيه، ولا يتخيله أسطورة لا تصدقه العقول ، وإنما يتخيل ما يمكن أن يشاهد الإنسان، وما يمكن أن يراه في حياته الدنيا. ويقول في وصف الناقة:

وَكَأَنَّمَا تَنْأَى بِجَانِبِ دَفِّهَا الـ وَحْشِيِّ مِنْ هَزِجِ العَشِيِّ مُؤَوَّمِ

هِرٍّ جَنِيبٍ كُلَّمَا عَطَفَتْ لَهُ غَضَبْى اتَّقَاهَا بِاليَدَيْنِ وَبِالفَمِ

هذه الصورة متخيلة ولكنها مستقاة من الواقع.

المبحث الخامس : الخصائص اللغوية في شعر عنترة

كما عرف بأن يكون لكل أديب أسلوبه إلى الخاص الذي يمتاز به ، وكذلك يستخدم لغة خاصة في أداء أعماله الأدبية وتعمق النظر في شعر عنترة يبدو أن له طريقته الخاصة في استعمال مفردات اللغة . أن لهذه اللغة خصائص يمكن تحديد ها كما يلي:

مفردات سهلة: و أول ما يجذب النظر في شعره هو استعماله مفردات سهلة وألوفة، فلا نقع في أكثر شعره على ألفاظ وحشية غريبة إلا نادراً . يقبل على اللفظة المباشرة في حدود المعنى ولا يعنى بتوقيعها عبر نغم نفسي عام ينتظم القصيدة.كما يقول في شعره :

إذ لا أزال على رحالة سابحٍ نهد ، تحاوره الكماة، مكلم

فإن في ألفاظ " رحالة وسابح ونهد وتعاوره" شيئاً من الإيقاع بما يماثل المعنى. ففي لفظة " سابخ" قليل أو كثير من معناها الدال على مد يدي الفرس في الهواء وهو يعدد وكان الألف بعد السين تنطوي على مثل الامتداد الذي يوحى به ويسير إليه المعنى .... وإنما يخيل إلى أن لفظة "نهد" تنطوي على مثل معناها، وكذلك لفظة "تعاور" للتدليل على التكرار مرة بعد مرة.(38)

الصياغة: المقصود من الصياغة هي أدوات الشاعر، وتشمل : على الألفاظ والأساليب والخيال والموسيقى وعندما نمعن النظر في شعر عنترة فنجد أدوات الصياغة كلها في شعره .

يقول إيليا الحاوي: " وإذ تلج عبارته في إطارها من الجملة أو البيت توقع في إيقاع حماسي ، يحتشد بصخب في إطار خطابي عام، وقد يعترض فيه بأدوات الشرط الملازم لشعر الالتزام والجلال وإبداء الرأي كقوله :

إِنْ تُغْدِفِي دُونِي القِنَاعَ فَإِنَّنِي طِبٌّ بأخذِ الفَارسِ الْمُسْتَلْئِمِ

أسلوب ومعاني شعره:

عندما نستعرض الشعر الجاهلي نجده متشابهاً في أسلوبه ومعانيه فالقصيدة الجاهلية تبدأ بالوقوف على الأطلال وذكر الأحبة وينتقل الشاعر الجاهلي إلى وصف الطريق الذي يقطعه بما فيه من وحش، ثم يصف ناقته، وبعد ذلك يصل إلى غرضه من مدح أو غيره، وهذا هو المنهج والأسلوب الذي ينتهجه الجاهليون في معظم قصائدهم ولا يشذ عن ذلك إلا القليل من الشعر.

وإذا أردنا أن نقف على أسلوب ومعاني الشعر عند عنترة فلابد لنا من النظر في الألفاظ والتراكيب التي يتكون منها ذلك الشعر.

فألفاظ الشعر عند عنترة قوية صلبة في مواقف الحروب والحماسة والمدح والفخر، لينة في مواقف الغزل، فمعظم شعر عنترة بن شداد العبسي من النوع الذي يتصف بقوة الألفاظ.

ويغلب على الألفاظ الجاهلية أداء المعنى الحقيقي أما الألفاظ التي تعبر عن المعاني المجازية فهي قليلة.

والتراكيب التي تنتظم فيها الألفاظ تراكيب محكمة البناء متينة النسج متراصة الألفاظ، وخير شاهد على ذلك شعر عنترة بن شداد.

ألا يا ما لهذا البرق اليماني يضئ كأنه مصباح بان

ولعل هذا هو الذي جعل دكتور طه حسين أن يقول: انتهى إلى معانً قلما انتهى إلى مثلها غيره من الشعراء وما أرى أن ابن سلام قد أخطأ حين قال: إن هذه القصيدة (أي معلقة عنترة) نادر، فهي نادرة حقاً ..."[39]

الموسيقى في شعره: لا يوجد شعر بدون موسيقى يتجلى فيها جوهر الشعر وجوه الزاخر بالنغم ، و الموسيقى تؤثر في أعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفية التي تشبه قوة السحر، مما لفت نظري في الآونة الأخيرة في مجتمعنا العربي بشكل عام . ونجد الموسيقى في شعر عنترة أيضاً كما يقول الدكتور طه حسين : "إني أحس كأن القصيدة طائفة من الأنغام الموسيقية الكثيرة المختلفة فيها بينها أشد الاختلاف، ولكن فيها نغمة واحد متصلة من بداية القصيدة إلى نهايتها ، وإن لم تسمعها الأذن حيناً آخر، وهذه النغمة التي تكون وحدة هذه القصيدة. هي حديث الشاعر إلى صاحبته، واستحضار صورتها في نفسه من البداية إلى النهاية. فهي النغمة في قصيدة عنترة حلوة رقيقة ، لأن عنترة فيما يظهر قد كان حلو النفس ، رقيق القلب، قوى العاطفة. "[40]

الهوامش

(1) لسان العرب (مادة عنتر) ، ص 230 ، دار صادر بيروت.

(2) ديوان عنترة بتحقيق محمد سعيد مولوي ، ص 216 ، المكتب الإسلامي دمشق.

(3) ديوان عنترة لمحمد سعيد مولوي ، ص18.

(4) الشعر والشعراء لابن قتيبة بتحقيق أحمد محمد شاكر ، ج/1 ، ص 250. دار المعارف بمصر.

(5) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج/7 ، ص 148. دار صادر بيروت.

(6) الكامل في التاريخ لابن أثير ، ج/1 ، ص 208. مكتبة العربية بيروت .

(7) ديوان عنترة ص35.

(8) تاريخ الأدب العربي ، (العصر الجاهلي) للدكتور شوقي ضيف ، ص369-370.

(9) تاريخ الأدب العربي لأحمد الإسكندري وزملائه ، المطبعة الأميرية بالقاهرة.

(10) ديوان عنترة ، ص47.

(11) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد على ، ج/9 ، ص560، دار العلم للملايين بيروت.

(12) حديث الأربعاء لطه حسين، ج/1، ص150. دار المعارف بمصر.

(13) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ، ص370.

(14) الاشتقاق لابن دريد ، ص280. دار المعارف بمصر.

(15) ديوان عنترة (بتحقيق محمد سعيد) ص205-206.

(16) معلقته في ديوانه.

(17) ديوان عنترة ، ص199 – 205 ، ب28 – 42 .

(18) الشعر الجاهلي للدكتور يحيى الجبوري ، ص374 – 377 ، دار المعارف بمصر.

(19) ديوان عنترة ، ص 207 – 209 .

(20) معلقات العرب ، للدكتور بردى طبانة، ص/151 ، دار المريخ الرياض.

(21) تاريخ الأدب العربي لشوقي ، ص370.

(22) نفس المرجع.

(23) نفس المرجع.

(24) تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، ج/1 ، ص91 ، دار المعارف بمصر.

(25) المصدر السابق ، ص100.

(26) المصدر السابق ، ص109.

(27) شرح المعلقات ، للزوزني (بتحقيق عمر أبو النصر) ص246 وما بعدها. ، دار المعارف بمصر

(28) ديوان عنترة، ص 111.

(29) ديوان عنترة ، ص19.

(30) ديوان عنترة ، ص112- 113.

(31) نفس المرجع ، ص116.

(32) الشعر الجاهلي للدكتور يحيى الجبوري ، ص238.

(33) ديوان عنترة ص136 – 137.

(34) ديوان عنترة ، ص 195 -196 ،ب 17 – 19 ، 21.

(35) ديوان عنترة ص137.

(36) في النقد والأدب ، لإيليا الحاوي، ج/ 1 ص201 ، دار الكتاب اللبناني.

(37) في النقد والأدب ، ج/1 ص200.

(38) في النقد والأدب ، ج/1 ص201 – 202.

(39) حديث الأربعاء ، ج/1 ، ص149.

(40) نفس المرجع.

فهرس المصادر والمراجع

1. الاشتقاق ، لابن دريد، (بتحقيق عبد السلام محمد هارون) ، دار المعارف بمصر.
2. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار صادر بيروت.
3. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مكتبة الحياة بيروت.
4. تاريخ الأدب العربي، أحمد الاسكندري، أحمد أمين ، المكتبة الأميرية بالقاهرة.
5. تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
6. تاريخ الأدب العربي، الدكتور عمر فروج، دار العلم للملايين بيروت.
7. تاريخ الأدب العربي،كارل بروكلمان (تعريب على النجار)،دار المعارف بمصر.
8. حديث الأربعاء، الدكتور طه حسين،دار المعارف بمصر.

9. ديوان عنترة، بتحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي دمشق.
10. الشعر الجاهلي، الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد، دار المعارف بمصر.
11. شرح المعلقات، للزوزني (بتحقيق عمر أبو النصر)، دار المعارف بمصر.
12. الشعر الجاهلي، الدكتور يحيى الجبوري، دار المعارف بمصر.
13. الشعر والشعراء لابن قتيبة بتحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر.
14. الفروسية في الشعر الجاهلي،الدكتور نورى حمودي ،مكتبة العربية بيروت.
15. في النقد والأدب، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني — بيروت.
16. الكامل في التاريخ لابن أثير ، مكتبة العربية بيروت.
17. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،الدكتور جواد على،دار العلم للملايين بيروت.
18. معلقات العرب،الدكتور بدوى طبانة، دار المريخ الرياض.
19. الوساطة بين المتنبي وخصومه،على بن عبد العزيز الجرجاني.دار العلم للملايين،بيروت.

